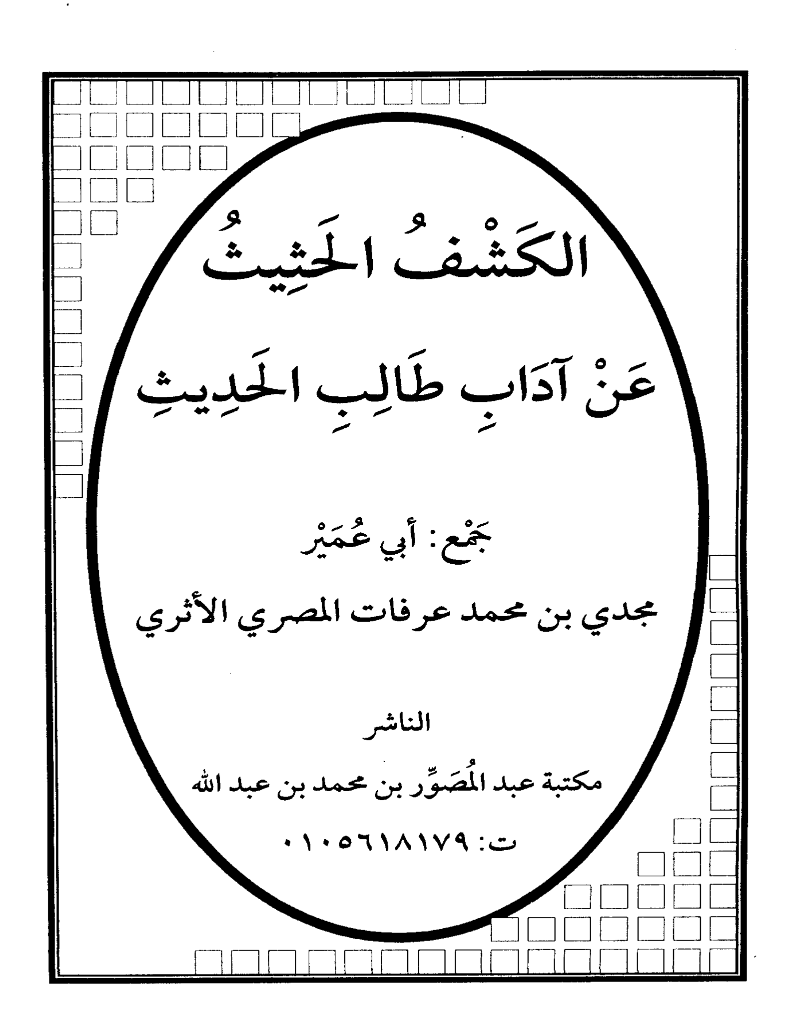


الكَشْفُ الحَثِيثُ

عَنْ آدَابِ طَالِبِ الحَدِيثِ

جَمْع: أبي عُمَيْر

مجدي بن محمد عرفات المصري الأثري

الناشر

مكتبة عبد المُصَوِّر بن محمد بن عبد الله

ت: ٠١٠٥٦١٨١٧٩

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع

٢٠٠٤/١٤٥٣٨

الناشر
مكتبة عبد المصور بن محمد بن عبد الله
القاهرة- مساكن عين شمس- ش مسجد الهدي المحمدي
ت: ٠١٠٥٦١٨١٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة

في النار.

✽ ثم أما بعد؛ فقد قال الخطيب في مقدمة الجامع:

«الواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدبًا وأشد الخلق تواضعًا وأعظمهم نزاهةً وتدينًا، وأقلهم طيشًا وغضبًا لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآدابه، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدثين، ومآثر الماضين، فيأخذوا بأجملها وأحسنها ويَصْدِفُوا عن أرذلها وأدونها».

وهذه جملة من الآداب التي ينبغي للطالب أن يتحلى بها:

١ - النية في طلب الحديث:

يجب على طالب الحديث أن يخلص نيته في طلبه ويكون قصده بذلك وجه الله سبحانه، قال الله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] **«إنما الأعمال بالنيات»**.

✽ وقوله ﷺ: **«بشر هذه الأمة بالسَّنَاء والتمكين في البلاد والنصر والرفعة في الدين ومن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة نصيب»** [رواه أحمد وابنه في الزوائد وسنده صحيح، حب، ك].

❁ ومنها: قول أبي أمامة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال: «**لا شيء له**»، فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله ﷺ: «**لا شيء له**»، ثم قال: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتغي به وجهه**» [سنده جيد].

❁ وقوله ﷺ: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غير تركته وشركه**» [رواه مسلم].

❁ وقوله ﷺ: «**من طلب العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار**» .

[ابن ماجه صحيح الترغيب ص ٤٧]

❁ وقوله ﷺ: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به..**» [مسلم عن أبي هريرة].

❁ وقوله ﷺ: «**من تعلَّم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**» يعني ريحها.

[صحيح (د، مج، أحمد، ك، حب، ابن عبد البر)]

❁ قال الثوري: «إنما يُطلب الحديث ليتقى الله به فلذلك فُضل على

غيره من العلوم ولولا ذلك كان كسائر الأشياء».

❁ قال حماد بن سلمة: «من طلب الحديث لغير الله مُكر به».

[ابن عبد البر حسن]

❁ قال ابن جماعة رحمه الله: «حُسن النية في طلب العلم يقصد به وجه الله تعالى والعمل به وإحياء الشريعة وتنوير قلبه وتحلية باطنه والقرب من الله تعالى يوم القيامة والتعرض لما أعدَّ لأهله من رضوانه وعظيم فضله، قال سفيان الثوري: «ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي» ولا يقصد به الأغراض الدنيوية من تحصيل الرياسة والجاه والمال ومباهاة الأقران وتعظيم الناس له وتصديره في المجالس ونحو ذلك فيستبدل الأدنى بالذي هو خير. قال أبو يوسف رحمه الله: يا قوم أريدوا بعلمكم الله تعالى فإني لم أجلس مجلسًا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم ولم أجلس مجلسًا قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى افتضح، والعلم عبادة من العبادات وقربة من القرب فإن خلصت فيه النية قُبل وزكى ونمت بركته، وإن قصد به غير وجه الله تعالى حبط وضاع وخَسِرَتْ صفقته وربما تفوته تلك المقاصد ولا ينالها فيخيب قصده ويضيع سعيه. [تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة]

❁ قال الخطيب: «وليحذر أن يجعله سبيلاً إلى نيل الأعراض وطريقًا إلى أخذ الأعواض فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه، وليتق المفاخرة والمباهاة به وأن يكون قَصْدُه في طلب الحديث نيل الرئاسة

واتخاذ الأتباع وعقد المجالس فإن الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية لا حفظ رواية فإن رواة العلوم كثير ورعاتها قليل، ورب حاضر كالغائب وعالم كالجاهل وحامل الحديث ليس معه منه شيء، إذ كان في اطِّراحه لحكمه بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه». اهـ.

ومن كان على هذه النية الخالصة فإن قوله مسموع وفي القلوب مطبوع، قال عمر بن ذر لوالده: «يا أبي مالَكَ إذا وعظتَ الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة. وفقك الله لرشدك». آمين.

❁ قال الثوري: «ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي. وقال: لو علمت أن أحدًا يطلب الحديث لله لسرت إليه في بيته فحدثته. وقال: لا أعلم شيئًا أفضل منه يعني الحديث لمن أراد الله به».

❁ قال مالك: «ما تعلمت العلم إلا لنفسي وما تعلمت ليحتاج الناس إليَّ وكذلك كان الناس».

٢ ـ التحلي بالأخلاق الشريفة باطنًا واستعمال السمت وحسن الهدي ظاهرًا:

وذلك باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه وتوظيف السنن على نفسه فإن الله يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

❁ وقالﷺ: «إنما بعثت لأُتمم صالح الأخلاق» .

[صحيح(ك، خد، هب عن أبي هريرة)]

❁ وقال: «**إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة**» [حسن(د، حم عن ابن عباس)].

❁ روى الحاكم في علوم الحديث والقاضي عياض في الإلماع بسنده إلى الزهري قال: «إن هذا العلم أدب الله الذي أدَّب به نبيه عليه السلام وأدَّب به النبيﷺ أمته أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أُدي إليه، فمن سمع علمًا فليجعله إمامه و حجة فيما بينه وبين الله تعالى».

❁ قال مالك: «حق على طالب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية».

❁ قال أبو عمير بن النحاس الرملي عن أحمد بن حنبل رحمه الله: «عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه، عرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها» [النبلاء].

❁ قال الحسن بن إسماعيل عن أبيه: «كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، نحو خمسمائة يكتبون والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت».

❁ قال الحسن: «كان طالب العلم يُرى ذلك في سمعه وبصره وتخشعه».

❁ وقال ابن المبارك:

«أيها الطـالـب علـمًا ائت حماد بن زيد

فاستفد حلمًا وعلمًا ثم قيِّده بقـيـد»

فعلى الطالب أن يطهر ظاهره بمجانبة البدعة والتحلي بسنن رسول الله ﷺ في أحواله كلها والمحافظة على الوضوء ونظافة الجسم والمظهر من غير تكلف وعلى قدر المستطاع، وعليه أن يطهر قلبه من كل غش ودنس وغلٍّ وحسد وسوء عقيدة وخلق ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه فإن العلم كما قال بعضهم: صلاة السر وعبادة القلب وقربة الباطن وكما لا تصح الصلاة وهي عبادة الجوارح الظاهرة إلا بطهارة الظاهر من الحدث والخبث. فكذلك لا يصح العلم الذي هو عبادة القلب إلا بطهارته عن خبث الصفات وحدث مساوئ الأخلاق ورديئها، وإذا طيب القلب للعلم ظهرت بركته ونما كالأرض إذا طُيبت للزرع نما زرعها وزكا. وفي الحديث الصحيح: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»، قال سهل: حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل» .

[تذكرة السامع والمتكلم]

❁ روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر ﷺ قال: «وعد رسولَ الله ﷺ جبريلُ أن يأتيه فراث عليه حتى اشتد ذلك على

رسول الله ﷺ فخرج فلقيه جبريل فشكا إليه. فقال: «إنا لا ندخل بيتًا في كلب ولا صورة».

فإذا كانت الملائكة لا يدخلون بيتًا فيه كلب فكيف ينزلون قلبًا مليئًا بالأنجاس والخبائث ومذموم الصفات مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب ونحوها، وهذه الصفات كالكلاب النابحات في الباطن فكيف يمكن أن تتفق هذه مع ملائكة الرحمة؟

❁ قال الشافعي رحمه الله:

«شكوتُ إلى وكيعٍ سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبـرنـي بـأن العـلم نـور ونور الله لا يُهدى لعاص»

٣ - انتقاء الشيوخ الثقات العدول المشهورين باستقامة الدين وجميل الذكر وشرف الأخلاق:

قال تعالى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

❁ قال ابن سيرين وغيره من السلف: «إن هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم».

❁ وقال شعبة بن الحجاج: «حدِّثوا عن أهل الشرف فإنهم لا يكذبون».

❁ وقال إبراهيم: «كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وإلى صلاته وإلى حاله ثم يأخذون عنه».

❁ قال مالك: «لا يؤخذ العلم عن أربعة:

أ- سفيه يعلن السفه وإن كان أروى الناس.

ب- صاحب بدعة يدعو إلى هواه.

جـ- من يكذب في حديث الناس وإن كنت لا أتهمه في الحديث.

د- صالح عابد إذا كان لا يحفظ ما يحدث به». [النبلاء].

❁ وليحذر كل الحذر من السماع من أهل الفسق والبدع والأهواء، قال الخطيب: «اتفق أهل العلم على أن السماع ممن ثبت فسقه لا يجوز».

❁ قال الثوري: «من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمعه ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة».

❁ وقال رجل من أهل البدع لأيوب: يا أبا بكر أسألك عن كلمة؟ فولَّى هاربًا وهو يقول بيده: «لا ولا نصف كلمة».

❁ وقال أبو قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء- أو قال: أصحاب الخصومات- فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون».

❁ ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية؟ قال: لا،

لتقومان عني أو لأقومنه، فقاما، فقال بعض القوم: يا أبا بكر ما عليك أن يقرأا عليك آية؟ قال: «خشيت أن يقرأا آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي».

❁ قال ابن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم: «وإذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل غالبًا والفلاح يُدرِكُ طالبًا إلا إذا كان للشيخ من التقوى نصيب وافر، وعلى شفقته ونصحه للطلبة دليل ظاهر، وكذلك إذا اعتبرت المصنفات وجدت الانتفاع بتصنيف الأتقى الأزهد أوفر والفلاح بالاشتغال به أكثر، وليجتهد أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع وله مع من يثق به من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق» اهـ.

قلت: فإن الشيخ له أثر على تلميذه في عقيدته وأخلاقه وأقواله وأفعاله وعلومه، تأمل في أخلاق الصحابة وكيف أنهم على سنة الرسول ﷺ سائرون وبهديه وسمته متمسكون، وكذا من بعدهم من التابعين كانوا بهم متأثرين وبأقوالهم وأفعالهم مؤتسين، وهكذا سائر أهل القرون المشهود لهم بالخيرية، فمن كان شيخه على الجادة المستقيمة فهو على أثره سائر وكذا من كان شيخه من أهل البدعة لحق به في طريق جائر.

❁ ذُكر أن سبب تشيع عبد الرزاق الصنعاني أنه لقي جعفر بن

سليمان الضُّبعي قال: فرأيته فاضلاً حسن الهدي فأخذت هذا عنه (التشيع).

❁ وكذا عمران بن حطان الخارجي الذي مدح قاتل علي بن أبي طالب سبب وقوعه في هذه البدعة أنه تزوج ابنة عمه الخارجية ليردها عن مذهبها فتأثر بها وصار خارجيًّا غاليًا.

❁ قال يوسف بن أسباط: «كان أبي قدريًّا وأخوالي روافض، فأنقذني الله بسفيان الثوري».

❁ وهذا ابن القيم الذي تأثر بشيخه ابن تيمية حتى استقام على الطريق فقال فيه:

يا قوم والله العظيم نصيحة ... من مشفق وأخٍ لكم معوان
جربت هذا كله ووقعت في ... تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضله ... من ليس تجزيه يدي ولساني
فتًى أتى من أرض حران فيا ... أهلاً بمن قد جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله ... من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يداه يدي وسار فلم يرم ... حتى أراني مطلع الإيمان

٤ - تفريغ القلب للعلم وعدم إشغال فكره بسواه:

قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤] ويعقب ذلك تفريغ البدن من أشغال الدنيا قدر المستطاع.

❁ قال أبو هريرة ﷺ: «إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون» [رواه البخاري ومسلم].

❁ وفي الصحيحين أيضًا من حديث عمر ﷺ قال: «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد- وهي من عوالي المدينة- وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يومًا وأنزل يومًا فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك..» الحديث.

وهذا لمن كان لابد له من عمل وتكسب لأولاده يفرغ نفسه يومًا للعلم وعلم اليوم التالي يأخذه عن قرينه لا يضيع شيئًا من العلم فأما من كفي ذلك فليتفرغ كلية.

❁ قال المقدسي في مختصر منهاج القاصدين (ص١٧): «وينبغي له (أي: المتعلم) قطع العلائق الشاغلة فإن الفكرة متى توزعت قَصُرَت عن إدراك الحقائق، وقد كان السلف يؤثرون العلم على كل شيء فروي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه لم يتزوج إلا بعد الأربعين، وأُهديت إلى أبي بكر بن الأنباري جارية فلما دَخَلَتْ عليه تفكر في استخراج مسألة فعزبت عنه فقال: أخرجوها إلى النخاس، فقالت: هل من ذنب؟ قال: لا إلا أن قلبي اشتغل بك وما قَدْرُ مثلك أن يمنعني علمي» اهـ.

❁ قال الخطيب:

«مــا للــمـعيــل وللمعــالي إنما　　يســمو إليهن الوحيد الفارد

فالشمس تجتاب السماء وحيدة　　وأبو بنات النعش فيها راكد»

بنات النعش الكبرى: سبعة كواكب، أربعة منها نعش لأنها مربعة، وثلاث بنات نعش، الواصل بين نعشين.

٥ ـ كتابة العلم وتدوينه:

فقد أقسم الله عز وجل بالقلم لما فيه من البيان وهو واقع على كل قلم يكتب به في الأرض والسماء، وأقسم سبحانه بالكتابة فقال: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ أي: والذي يكتبون. وذلك لشرف الكتابة ومكانتها، أو لأنها نعمة من الله أنعم بها على عباده فالقلم أحد اللسانين كما يقال.

❁ روى البخاري في صحيحه وغيره من حديث أبي هريرة: «لما فتحت مكة قام رسول الله ﷺ خطيبًا (فذكر خطبته ﷺ)، قال: فقام رجل من اليمن يقال له: أبو شاه فقال: يا رسول الله اكتبوا لي، فقال رسول الله ﷺ: «**اكتبوا لأبي شاهٍ**».

❁ وروى البخاري أيضًا وغيره عن أبي هريرة قال: «لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثًا مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كتب ولم أكتب».

❁ وروى أحمد وأبو داود والدارمي وغيرهم بسند صحيح إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه، رسول الله ﷺ يتكلم في الرضا والغضب؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال: «**اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق**».

❁ روى الخطيب في الجامع والتقييد وابن عبد البر في الجامع وغيرهم: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «قيِّدوا العلم بالكتاب» [حسنه الألباني. وثبت موقوفًا عن أنس].

❁ وقال إبراهيم: «لا بأس بكتاب الأطراف» .

[ابن أبي شيبة، وأبو خيثمة في العلم، صحيح]

❁ قال الضحاك: «إذا سمعت شيئًا فاكتبه ولو في الحائط».

❁ وعن سعيد بن جبير أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فإذا نزل نسخه» .

[الدارمي وابن أبي شيبة وابن عبد البر، صحيح]

❁ قال أبو قلابة: «الكتاب أحبُّ إليَّ من النسيان» .

[ابن أبي شيبة والتقييد والجامع لابن عبد البر (٤٠٦)، صحيح]

❁ قال أبو المليح الهذلي: «تعيبون علينا الكتاب وقد قال الله تعالى:

﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ﴾ [طه: ٥٢]».

• ۞ قال عبد الله بن حنش الأودي: «رأيتهم عند البراء يكتبون على أيديهم بالقصب».

۞ قال معاوية بن قرة: «من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالمًا».

[الدارمي، ابن عبد البر (٤١٧)، وهو حسن]

۞ قال مالك يوصي خالد بن خداش: «عليك بتقوى الله في السر والعلن، والنصح لكل مسلم، وكتابة العلم من عند أهله».

[الحلية وابن عبد البر (٢٧٥) وهو حسن]

۞ وقال يحيى بن سعيد: «لأن أكون كتبت ما كنت أسمع أحب إليَّ من أن يكون لي مثل مالي» [صحيح، التقييد والجامع لابن عبد البر (٤١٩)].

۞ قال شعبة: «إذا رأيتموني أثج الحديث فاعلموا أني تحفظته من كتاب».

۞ وقال الخليل بن أحمد: «اجعل ما تكتب بيت مال، وما في صدرك النفقة» [صحيح، الجامع (٤٢٦)].

۞ قال الشعبي: «الكتاب قيد العلم».

۞ قال إسحاق بن منصور لأحمد بن حنبل: «لو لم يكتب العلم لذهب، قال: نعم ولولا كتابة العلم أي شيء كنا نحن».

۞ قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين: «كل من لا يكتب العلم لا

يؤمن عليه الغلط» [الجامع (٤٣٣)].

❁ قال صالح بن كيسان: «اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا: نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن النبيﷺ، ثم قال: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة، وقلت أنا: ليس بسنة فلا نكتبه، وكتب ولم أكتب فأنجح وضيعت» [عبد الرزاق، ابن عبد البر الجامع (٤٤١)، صحيح].

❁ قال الخليل بن أحمد: «ما سمعت شيئًا إلا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، ولا حفظته إلا نفعني» [صحيح التقييد].

❁ قال علي بن المديني: «أمرني سيدي أحمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من كتاب» [النبلاء].

❁ وقد صدق القائل إذ يقول:

«العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الواثقة
فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة»

❁ **وهذه بعض آداب الكتابة:**

١ - لا ينبغي أن يكتب الطالب خطًّا دقيقًا إلا في حال العذر.

٢ - يبتدئ بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) ظاهرة.

٣ - لا يكتب عبد الله (عبد) في آخر السطر (ولفظ الجلالة) في أول السطر الثاني، وكذا رسول الله.

٤ - إذا كتب اسم النبي ﷺ يكتب معه الصلاة عليه واضحة تامة.

٥ - ضبط الكلمات المُشْكِلة أو التي يتطرقها التصحيف وكذا

الأسماء.

٦ - المعارضة لما كتب أي قراءته على بعض الشيوخ من أصله.

❁ قال يحيى بن أبي كثير: «الذي يكتب ولا يعارض مثل الذي يدخل الخلاء ولا يستنجي» [الجامع (٤٥٠)].

٦ - توقير الشيخ وتقديره وهيبته:

في قصة موسى ﷺ مع الخضر قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] فبدأه بعد السلام بالاستئذان منه على متابعته، وأنه لا يتبعه إلا بإذنه، أدب مع المعلم.

❁ قال ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا) يعني حقه. [صحيح، الجامع ابن عبد البر (٢٦١)].

❁ قال الشعبي: «صلى زيد بن ثابت على جنازة ثم قربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال له زيد: خلِّ عنه يابن عمِّ رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا يفعل بالعلماء والكبراء».

[جامع، طب، عبد البر (٨٣٢)، صحيح]

❁ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فكنت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حديث ما منعني منه إلا هيبته..» [مسلم].

❁ قال طاوس: «من السنة أن يوقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد، وإن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه».

۞ وليحذر الطالب أن يماري شيخه فإن المراء شر كله وهو مع الشيخ أشد قبحًا.

۞ قال أبو سلمة: «لو رفقت بابن عباس لاستخرجت منه علمًا كثيرًا».

۞ قال ابن جريج: «لم أستخرج الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به».

۞ قال إسحاق بن راهويه: «جاء فتى إلى سفيان بن عيينة من خلفه فجبذه فقال: يا سفيان حدثني، فالتفت سفيان فقال: يا فتى إنه من جهل أقدار الناس فهو بقدر نفسه أجهل» [الإلماع ص٢٤٣].

۞ قال ميمون بن مهران: «لا تمارِ من هو أعلم منك فإذا فعلت ذلك خزن عنك علمه ولم تضره شيئًا».

۞ يقال: «إن الشافعي رحمه الله عوتب على تواضعه للعلماء فقال:

أهين لهم نفسي فهم يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها»

۞ وقال أحمد بن حنبل لخلف الأحمر: «لا أقعد بين يديك أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه» [تذكرة السامع والمتكلم].

۞ وقال الشافعي رحمه الله: «كنت أصفح الورق بين يدي مالك صفحًا رقيقًا هيبة له لئلا يسمع وقعها».

۞ وقال حمدان الأصفهاني: «كنت عند شريك رحمه الله فأتاه بعض

أولاد الخليفة المهدي فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتف إليه وأقبل علينا، ثم عاد فعاد لمثل ذلك، فقال: أتستخف بأولاد الخلفاء؟ فقال شريك: لا ولكن العلم أجل عند الله تعالى من أن أضعه فجثا على ركبتيه، فقال شريك: هكذا يطلب العلم» [المجموع (١/ ٣٦)]

❁ قال الخطيب: «وإذا خاطب الطالبُ المحدِّثَ عظمه في خطابه بنسبته إياه إلى العلم مثل أن يقول له: أيها العالم أو أيها الحافظ ونحو ذلك. قال: وينبغي أن يكون مقعد الطالب من المحدث بمنزلة مقعد الصبي من المعلم، ويجب أن يُقبل على المحدث بوجهه ولا يلتفت عنه ولا يُسارَّ أحدًا في مجلسه ولا يحكي عن غيره خلاف روايته.. قال: وإذا روى المحدث خبرًا قد تقدمت معرفته فينبغي له أن لا يداخله في روايته ليريه أنه يعرف ذلك الحديث، فإن من فعل مثل هذا كان منسوبًا إلى سوء الأدب. قال ابن جريج: إني لأسمع الحديث من الرجل فأصغي له وكأني لم أسمعه ولقد سمعته قبل أن يولد. قال: وإذا روى المحدث حديثًا فعرض للطالب في خلاله شيء أراد السؤال عنه لا يسأل عنه في تلك الحال بل يصبر حتى يُنهي حديثه ثم يسأله عما عرض له، وليجتنب الطالب سؤال المحدث إذا كان قلبه مشغولاً».

❁ قال ابن جماعة: «وعليه أن يعرف للشيخ حقه ولا ينسى فضله وأن يعظم حرمته ويرد غيبته ويغضب له فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس وينبغي أن يدعو له مدة حياته ويرعى ذمته وأقاربه

وأولاده بعد وفاته ويتعمد زيارة قبره والاستغفار له والصدقة عنه».

[تذكرة السامع والمتكلم]

٧ ـ الصبر على الطلب والتحصيل:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]، ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥]، ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

والآيات كثيرة في الصبر والحث عليه ومدحه.

❁ وقال ﷺ: «**والصبر ضياء**» [مسلم].

وقال: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر» [متفق عليه].

والصبر على أنحاء شتى منها:

١ - الصبر على الترحال:

❁ قال الحاكم عن أهل الحديث: «.. آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدمن والأوطار وتنعموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة أهل العلم والأخبار، وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار بوجود الكسر والأطمار. جعلوا المساجد بيوتهم وأساطينها تكاياهم، وبواريها فرشهم، نبذوا الدنيا بأسْرها وراءهم، وجعلوا غذاءهم الكتابة وسمرهم المعارضة، واستراوحهم المذاكرة، وخلوقهم المداد، ونومهم السهاد، واصطلاءهم الضياء، وتوسدهم الحصى».

❁ قال البخاري: «باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر عليهما السلام وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ » ثم روى بسنده إلى ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس في صاحب موسى من هو؟ فقال ابن عباس: هو خضر.. الحديث.

❁ قال ابن حجر عند شرحه: «هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم لأن ما يغتبط به تحتمل المشقة فيه».

❁ قال البخاري: «باب الخروج في طلب العلم، ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد» الحديث: «**يحشر الله الناس يوم القيامة عراة غرلاً بُهمًا**، قلنا: وما بهمًا؟ قال: **ليس**

معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرب- أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، قلت: وكيف؟ وإنما نأتي الله عراة بُهمًا؟ قال: **بالحسنات والسيئات»** [الأدب المفرد].

❁ قال الحافظ: «وفي هذا الحديث ما كان عليه الصحابة من الحرص على تحصيل السنن النبوية»

❁ وصدق القائل:

«إن العلا حدثتني وهي صادقة فيما تحدث أن العز في النُّقَل

إذا نام غِرٌّ في دجى الليل فاسهر وقم للمعالي والعوالي وشمر»

❁ قيل للشعبي: «من أين لك هذا العلم كله؟ قال: بنفي الاعتماد والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب» .

[تذكرة الحفاظ]

❁ وقال سعيد بن المسيب: «كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد».

❁ قال مكحول الشامي: «كنت مولى امرأة من هذيل فأعتقت بمصر فلم أدع بها علمًا إلا حويته فيما أرى، ثم أتيت العراق فلم أدع بها علمًا إلا حويته فيما أُرى ثم أتيت المدينة فكذلك، ثم أتيت الشام فغربلتها كل ذلك

أسأل عن النَّفَل، وقال: طفت الأرض كلها في طلب العلم» [تذكرة الحفاظ]

❁ قال ابن الجوزي (في صيد الخاطر): «طاف الإمام أحمد بن حنبل الدنيا مرتين حتى جمع المسند».

❁ قال الإمام أحمد: «رحلت في طلب العلم والسنة إلى الثغور والشامات والسواحل والمغرب والجزائر ومكة والمدينة والحجاز واليمن والعراقين (الكوفة والبصرة) جميعًا وفارس وخراسان والجبال والأطراف ثم عدت إلى بغداد وخرجت إلى الكوفة فكنت في بيت تحت رأسي لبنة فحممت فرجعت إلى أمي رحمها الله ولم أكن استأذنتها ولو كان عندي تسعون درهمًا كنت رحلت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الريّ وخرج بعض أصحابنا ولم يمكني الخروج لأنه لم يكن عندي شيء».

❁ **أبو سعد السمعاني صاحب الأنساب:** قال المعلمي في مقدمة الأنساب: «توفي والد أبي سعد السمعاني وعمر ولده نحو ثلاث سنين ونصف فكفل أبا سعد وصيَّه وعَمَّاه وكلهم من خيار العلماء، فاعتنوا به خير عناية وحفظ القرآن وتعلم الفقه والعربية والأدب وصار يسمع الحديث مع عميه ثم بعد أن قارب العشرين من عمره صار يسمع بنفسه غير أنهم لم يسمحوا له بالرحلة إلاَّ بأخرة وقد ألحَّ عليهم أبو سعد أن يأذنوا له بالرحلة إلى نيسابور ليسمع صحيح مسلم من المتفرد به المعمر الثقة الفاضل أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي الذي طال عمره [٤٤١- ٥٣٠] وأصبح يُتوقع كل يوم موته وكان مع جلالته في العلم قد

تفرد (بصحيح مسلم) بسندٍ عالٍ جليل ولم يكن بينه وبين مسلم إلا ثلاثة مع أن بين وفاتيهما نحو مائتين وسبعين سنة وإذا مات ولم يسمع منه أبو سعد كانت حسرةً في قلبه لا تندمل فلم يأذنوا له حتى جاوز عمره الثانية والعشرين من السنين لم يسمحوا له بالسفر وحده بل سافر معه عمه أبو القاسم أحمد بن منصور وضاق صدر أبي سعد بتلك العناية الحبيبة الكريهة فلما أتم سماع (صحيح مسلم) في نيسابور على الفراوي أراد عمه أن يرجع به إلى وطنه فلم يسع أبا سعد إلا أن يختبئ أملاً أن يملَّ عمه الانتظار فيذهب ويدعه يطوف في مراكز العلم كما يحب، لكن العم كان أصبر منه لزم نيسابور حتى ملَّ أبو سعد الاختباء فظهر وطاوع عمه في الرجوع معه. وكأنه بقي يحاجّ عمه ويوضح له أنه مضطر إلى الرحلة وأنه لا داعي لمنعه من الغربة وَحْدَهُ ويمكن أن يكون كاتب عمه الآخر والوصي فعاد جوابهما بالإذن له، نعم أذن له عمه وهو بطوس فرجع أبو سعد إلى نيسابور وأقام بها سنة ثم ذهب يطوف في مراكز العلم في الدنيا عدة سنوات واتسعت رحلته ومات عماه والوصي عليه بمرو وهو في الرحلة».

وهذا أبو طاهر السِّلفي الحافظ العلامة شيخ الإسلام عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد السِّلفي الأصبهاني ثم الإسكندري المعمَّر أحفظ الحفاظ وشيخ العلم والحديث مائة سنة المحدث الجهبذ المقرئ الأديب المؤرخ اللغوي الناقد الضابط- يقول:

«أنا من أهل الحديث وهم خير فئة
جزت تسعين وأرجو أن أجوز المئة»

فحقق الله رجاءه فجاوز المائة ولم يزل يُقرأ عليه الحديث حتى آخر يوم من حياته إلى أن غربت الشمس من ليلة وفاته وهو في هذه السن الكبيرة يَرُدَّ على القارئ اللحن الخفي وصلى الصبح عند انفجار الفجر من يوم الجمعة ٥ ربيع الأول سنة ٥٧٦ أو قبلها.

٢ - الصبر على هجر النوم والراحة والدعة وسائر اللذات:

❁ قال أبو نصر بن نباتة السعدي:

«أعاذلتي على إتعـاب نفسي ورعيي في السُّرى روض السهاد
إذا شـام الفتى بـرق المعـالي فأهون فـائت طيـب الرقـاد»

❁ قال يحيى بن أبي كثير: «لا يستطاع العلم براحة الجسم».

[رواه مسلم]

❁ وقال أبو أحمد نصر بن أحمد العياضي السمرقندي: «لا يَنَال هذا العلم إلا من عطَّل دكانه وخرب بستانه وهجر إخوانه ومات أقرب أهله إليه فلم يشهد جنازته» [الجامع للخطيب].

❁ روى الحاكم في المستدرك وابن عبد البر في الجامع: عن ابن عباس قال: «لما قبض رسول الله ﷺ قلت لشاب من الأنصار هيا نسأل

أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم متوافرون، فقال: «واعجبًا لك يابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك؟ وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كنت آتي باب الرجل فأسأل عنه فأجده قائلاً فأفترش ردائي على عتبة بابه حتى يخرج وقد طابت نفسه».

۞ وذكر ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل: « عن أبي بكر بن أسلم بن سليمان: رحل أبي من نيسابور إلى مرو ليكتب عن ابن المبارك فقال أبياتًا أنشدها لابن المبارك:

خلفت عِرْسي يوم السير باكية ... يابن المبارك تبكيني برنات
خلفتها سحرًا في النوم لم أرها ... ففي الفؤاد منها شبه كيات
أهلي وعرسي صبياني رفضتهم ... وسرت نحوك في تلك المفازاتِ
أخاف والله قطاع الطريق بها ... وما أمنتُ بها من لدغ حياتِ
مستوفزات بها رقْشٌ مشوهة ... أخاف صولتها في كل ساعاتي
اجلس لنا كل يوم ساعةً بكرًا ... إن خف ذاك وإلا بالعشياتِ
يا أهل مرو أعينونا بكفكم ... عنا وإلا رميناكم بأبيات
لا تضجرونا فإنا معشر صُبُرٌ ... وليس نرجو سوى ربّ السموات»

۞ روى الدارمي: قال الليث بن سعد: «تذاكر الزهري ليلةً بعد العشاء حديثًا وهو جالس متوضئ فما زال ذلك مجلسه حتى أصبح».

۞ قال ابن هشام النحوي المصري أبو محمد جمال الدين عبد الله بن

يوسف - وهو ينصح طلبة العلم بالصبر على المشقة التي يعانونها في التحصيل، ومن هذه المشاق الفقر - يقول:

«ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ... ومن يخطب الحسناء يصبر على البذلِ
ومن لم يذل النفس في طلب العلا ... يسيرًا يعش دهرًا طويلاً أخا ذلِّ»

❁ وقال بعضهم يتصبر على الفقر والعدم:

«الجوع يدفع بالرغيف اليابس ... فعلام أكثر حسرتي ووساوسي
والموت أنْصَفَ حين ساوى حُكْمه ... بين الخليفة والفقير البائسِ»

❁ قال الشافعي رحمه الله ليونس بن عبد الأعلى: «يا أبا موسى قد أنست بالفقر حتى لا أستوحش منه، يا أبا موسى أزين شيء بالعلماء الفقر مع القناعة والرضا بهما. وقال: سمعت محمد بن الحسن يقول: لا يصلح في هذا الشأن إلا من أقرح البُنُّ قلبه» [شيء من الكوامخ].

❁ وقال مالك: «لا يُنال هذا الأمر حتى يذاق فيه طعم الفقر» [ترتيب المدارك].

❁ وقال الشافعي أيضًا:

«أمطري لؤلؤًا سماء سرنديب ... وفيضي آبار تكرور تبرًا
أنا إن عشت لست أعدم قوتًا ... وإذا مت لست أعدم قبرًا
همتي همة الملوك ونفسي ... نفس حر ترى المذلة كفرًا
وإذا ما قنعت بالقوت عمري ... فلماذا أزور زيدًا وعمرًا»

❁ قال القاضي أحمد بن عمر اليمني (٩٣٠):

«قلت للفقر أين أنت مقيم — قـال فـي عمائم الفـقهاء
إن بـيـني وبيـنهم لإخـاء — وعـزيز عليَّ قطع الإخـاء»

❁ ويقول آخر:

«إن الفـقيه هـو الفقير وإنما — راء الفقير تجمعت أطرافها»

❁ وقال بعضهم:

«شغلنا بكسب العلم من مكسب الغِني — كما شغلوا عـن مكسب العلم بالوفر
وصار لـهم حظ مـن الجهـل والغنى — وصـار لنا حظ من العـلم والـفقر»

❁ قال النضر بن شميل: «أقام الخليل بن أحمد في خُصٍّ له بالبصرة لا يقدر على فَلْسين وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال وكان يقول: إني لأغلق عليَّ بابي فما يجاوزه هَمّي . وقال الخليل: لا يصل أحد من النحو إلى ما يحتاج إليه إلا بعد معرفة ما لا يحتاج إليه»- قال الصفدي (مقدمة الوافي): «وهكذا كل علم لا يبلغ الإنسان إتقانه إلا بعد تحصيل ما لم يفتقر إليه» اهـ.

❁ قال ابن خَلِّكان (وفيات الأعيان ٢/١٦١) [ذكره أبو عبيدة من مثالب البصرة]: «ضاقت المعيشة على النضر بن شميل البصري بالبصرة فخرج يريد خراسان فشيعه من أهل البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلا محدث أو نحوي أو لغوي أو عروضي أو إخباري فلما صار

بالمربد جلس وقال: يا أهل البصرة يعز عليَّ فراقكم والله لو وجدت كل يوم كيلجة [مكيال] باقلّى (فول) ما فارقتكم، قال: فلم يكن أحد فيهم يتكلف له ذلك فسار حتى وصل خراسان فأفاد مالاً عظيمًا وكانت إقامته بمرو. ثم ذكر قصة مع المأمون «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَداد من عوز» [ضعيف] السَّداد: القصد والاعتدال، والسِّداد: البلغة وكل ما سددت به شيئًا.

فقال: أوتعرف العرب ذلك؟ قلت: نعم هذا العَرْجي يقول:

أضاعوني وأي فتًى أضاعوا   ليوم كريهة وسِداد ثغر

ثم كتب له بخمسين ألفًا. وكذلك خازنه الفضل بن سهل أعطاه ثلاثين ألفًا».

❁ يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل خلف له أبوه ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فأنفقه كله على الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه، فقد ترك يحيى من الكتب ١١٤ قمطرًا».

[القمطر في الأصل: البعير الشديد الصلب أو الضخم القوي- وهو السفط كالجوالق أو كالقفة].

❁ قال حجاج بن الشاعر (شيخ مسلم): «جمعت لي أمي مائة رغيف فجعلتها في جراب وانحدرت إلى شبابة بالمدائن فأقمت مائة يوم ببابه أجيء بالرغيف فأغمسه في دجلة وآكله فلما نفدت خرجت».

٣ ـ الصبر على الجوع والعطش في سبيل الطلب:

❁ قال الحافظ ابن حجر عند كلامه على حديث أبي هريرة المتقدم «إن إخواننا من المهاجرين»: «في هذا الحديث أن التقلل من الدنيا أمكن لحفظ العلم».

❁ في حلية الأولياء (٦/ ٣٧٣): قال ابن عيينة: «جاع سفيان الثوري جوعًا شديدًا مكث ثلاثة أيام لا يأكل شيئًا فمر بدارٍ فيها عرس فدعته نفسه إلى أن يدخل فعصمه الله ومضى إلى منزل ابنته فأتته بقرص فأكله وشرب ماءً فتجشى ثم قال:

سيكفيك عما أغلق الباب دونه ... وضَنَّ به الأقوام ملح وجردق
وتشرب من ماءِ فراتٍ وتغتدي ... تعارض أصحاب الثريد الملبَّق
تجشى إذا ما هم تجشوا كأنما ... ظللت بأنواع الخبيص تفتق»

(جردق: الرغيف، الملبَّق: الملیّن بالسمن، الخبيص: حلواء تعجن بسمن).

❁ قال ابن الجوزي (صيد الخاطر ٢/ ٣٣٠): «ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو:

ومن تكن العلياء همة نفسه ... فكل الذي يلقاه فيها محبب

كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى [ببغداد] فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء

فكلما أكلت لقمة شربت عليها وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم فأثمر ذلك عندي أني عُرفت بكثرة سماعي لحديث رسول الله ﷺ وأحواله وآدابه وأحوال أصحابه وتابعيهم».

❁ قال ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل في ترجمة والده: «سمعت أبي يقول: بقيت بالبصرة في سنة أربع عشرة ومائتين ثمانية أشهر وكان في نفسي أن أقيم سنة فانقطعت نفقتي فجعلت أبيع ثياب بدني شيئًا بعد شيء حتى بقيت بلا نفقة ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة وأسمع منهم إلى المساء فانصرف رفيقي ورجعت إلى بيت خالٍ فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت من الغد وغدا عليَّ رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد، فانصرف عني وانصرفت جائعًا، فلما كان من الغد غدا عليَّ فقال: مُرَّ بنا إلى المشايخ، فقلت: أنا ضعيف لا يمكنني، قال: ما ضعفك؟ قلت: لا أكتمك أمري، قد مضى يومان ما طعمت فيهما شيئًا، فقال لي: قد بقي معي دينار فأنا أواسيك بنصفه ونجعل النصف الآخر في الكراء فخرجنا من البصرة وقبضت منه النصف دينار.. قال: خرجنا من المدينة من عند داود الجعفري صرنا إلى الجار وركبنا البحر وكنا ثلاثة أنفس أبو زهير المرورُّوذي شيخ وآخر نيسابوري.. وركبنا البحر ثم مشينا، فكانت الريح في وجوهنا فبقينا في البحر ثلاثة أشهر وضاقت بنا صدورنا وفني ما كان معنا من الزاد وبقيت بقية فخرجنا إلى البر فجعلنا

نمشي أيامًا على البر حتى فني ما كان معنا من الزاد والماء، فمشينا يومًا وليلة لم يأكل أحد منا شيئًا ولا شربنا واليوم الثاني كمثل واليوم الثالث كل يوم نمشي إلى الليل فإذا جاء المساء صلينا وألقينا بأنفسنا حيث كنا، وقد ضعفت أبداننا من الجوع والعطش والعَيَاء فلما أصبحنا اليوم الثالث جعلنا نمشي على قدر طاقتنا فسقط الشيخ المُرْورُّوذي مغشيًّا عليه، فجئنا نحركه وهو لا يعقل فتركناه، ومشينا أنا وصاحبي النيسابوري، قدر فرسخ أو فرسخين فضعفت وسقطت مغشيًّا علي ومضى صاحبي وتركني، فلم يزل هو يمشي إذ بصر من بعيد قومًا قد قربوا سفينتهم من البر، ونزلوا على بئر موسى ﷺ، فلما عاينهم لوَّح بثوبه إليهم فجاءوه معهم الماء في إداوة فسقوه وأخذوا بيده فقال لهم: الحقوا رفيقين لي قد ألقوا أنفسهم مغشيًّا عليهم فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهي ففتحت عينيَّ فقلت: اسقني فصب من الماء في ركوة أو مشربة شيئًا يسيرًا فشربت ورَجَعَتْ إليَّ نفسي ولم يَرْوِني ذلك القدر فقلت: اسقني فسقاني يسيرًا وأخذ بيدي. فقلت: ورائي شيخ ملقًى، قال: ذهب إلى ذاك جماعة فأخذ بيدي وأنا أمشي أجر رجليَّ ويسقيني شيئًا بعد شيء حتى إذا بلغت سفينتهم وأتوا برفيقي الثالث الشيخ أحسن إلينا أهل السفينة فبقينا أيامًا حتى رَجَعَتْ إلينا أنفسنا. ثم كتبوا كتابًا إلى مدينة يقال لها: راية (مصرية قبلية) إلى واليهم وزودونا من الكعك والسويق والماء فلم نزل نمشي حتى نفد ما كان معنا من الماء

والسويق والكعك فجعنا نمشي جياعًا على شط البحر حتى وقعنا على سلحفاة قد رمى بها البحر مثل التُّرس فعمدنا إلى حجر كبير فضربنا على ظهرها فانفلق ظهرها وإذا فيها مثل صُفرة البيض فأخذنا من بعض الأصداف الملقاة على شط البحر فجعلنا نغترف من ذلك الأصفر فنتحساه حتى سكن عنا الجوع والعطش، ثم مررنا وتحملنا حتى دخلنا مدينة الراية وأوصلنا الكتاب إلى عاملها فأنزلنا في داره وأحسن إلينا وكان يقدم إلينا كل يوم القرع ويقول لخادمه: هاتِ لهم اليقطين المبارك فقدَّم إلينا من ذلك اليقطين مع الخبز أيامًا فقال واحد منا بالفارسية: ألا تدعو لنا باللحم المشئوم؟ وجعل يسمع الرجل صاحب الدار فقال: أنا أحسن الفارسية فإن جدتي كانت هروية فأتانا بعد ذلك باللحم ثم خرجنا من هناك وزودنا إلى أن بلغنا مصر».

٤ ـ الصبر على العُرْي ونفاد المال في سبيل الطلب:

❁ في تاريخ بغداد (٩/ ٢٨٨) في ترجمة شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي:

«قال عمر بن هياج بن سعيد الهمداني: كنت في أصحاب شريك فأتيته يومًا وهو في منزله باكرًا فخرج إليَّ في فرو ليس تحته قميص عليه كساء فقلت له: قد أضحيت عن مجلس الحكم، فقال لي: غسلت ثيابي أمس فلم تجف فأنا أنتظر جفافها..».

❁ وقال شعبة: «من طلب الحديث أفلس بعت طست أمي بسبعة

دنانير..».

❁ وقال يحيى بن معين: «فلما خرجنا إلى صنعاء نفدت نفقة أحمد (ابن حنبل) فعرض علينا عبد الرزاق دراهم كثيرة فلم يقبلها، فقال له: اقبلها على وجه القرض فأبى وعرضنا عليه نفقاتنا فلم يقبلها فاطلعنا عليه وإذا به يعمل التكك ويفطر على ثمنها».

❁ قال ابن جرير الطبري: «أبطأت عني نفقة والدي واضطررت إلى أن فتقت كمَّي قميصي فبعتهما» [تذكرة الحفاظ].

❁ قال أبو بكر بن أبي داود: «دخلت الكوفة ومعي درهم واحد فاشتريت به ثلاثين مدًّا باقلاء فكنت آكل منه وأكتب عن الأشج، فما فرغ الباقلاء حتى كتبت عنه ثلاثين ألف حديث ما بين مقطوع ومرسل» [تذكرة الحفاظ].

❁ قال أبو بكر البرقاني: «دخلت إسفرايين ومعي ثلاثة دنانير ودرهم واحد فضاعت الدنانير وبقي الدرهم حسب فدفعته إلى خباز فكنت آخذ منه كل يوم رغيفين وآخذ عن بشر بن أحمد جزءًا من حديثه وأدخل مسجد الجامع فأكتبه وأفرغه بالعشي فكتبت في مدة شهر ثلاثين جزءًا ونفد ما كان لي عند الخباز فسافرت عن البلد» [تاريخ بغداد].

❁ قال هبة الله بن المبارك السقطي: «كان مسند بغداد أبو الغنائم محمد بن علي الدَّجَاجي البغدادي ذا وجاهة وتقدم حالٍ وسعة وعهدي به وقد أضنى عليه الزمان بصروفه، وقد قصدته في جماعة مثرين لنسمع

منه الحديث وهو مريض فدخلنا عليه وهو على بارية- حصيرة- وعليه جبَّة قد أكلت النار أكثرها وليس عنده ما يساوي درهمًا فحمل على نفسه حتى قرأنا عليه بحَسَب شرهنا ثم قمنا وقد تحمل المشقة في إكرامنا فلما خرجنا قلت: هل مع سادتنا ما نصرفه إلى الشيخ؟ فمالوا إلى ذلك فاجتمع له نحو خمسة مثاقيل من ذهب فدعوت ابنته وأعطيتها ووقفت لأرى تسليمها إليه، فلما دخلت وأعطته لطم وجهه ونادى وافضيحتاه آخذ على حديث رسول الله ﷺ عِوضًا؟ لا والله ونهض حافيًا فنادى: بحرمة ما بيننا إلا رجعت فعدت إليه فبكى وقال: تفضحني مع أصحاب الحديث؟ الموت أهون من ذلك وأعدت الذهب إلى الجماعة فلم يقبلوه وتصدقوا به» [فتح المغيث ١/ ٣٧٤].

٥ ـ الصبر على العزوبة وترك الزواج:

وهو من المرغوبات الشرعية والفطرية وذلك للتفرغ للارتحال والتحصيل والتأليف والاستفادة والإفادة، ولا شك أن التبتل والانقطاع عن الزواج اختيارًا شدة من أكبر الشدائد في حياة الإنسان العالم يفقد بها الأنس الروحي والسكون النفسي ويتحمل معها مشاق العزوبة في شئون الطعام والشراب والنظافة وخدمة البيت والمسكن ويحرم بسببها رعاية المرأة وحنانها عند نزول الأمراض عليه ومن خدمة بنيه وقت الشيخوخة ومتاعبها، وهذه المشاق لا يتحملها إلا من رأى الصبر عليها أهون من فقد الازدياد من العلم وتحصيله ونشره فآثر ما

يراه أغنم وأعظم على ما يراه ألذ وأنعم، ولا شك أيضًا أن الزواج قيد ثقيل بمسئولياته المادية والمعنوية التي تعوق أو تمنع من العلم والارتحال في طلبه.

✿ ذكر العجلي معمر بن راشد في ثقاته فقال: «معمر بن راشد يكنى أبا عروة بصري سكن صنعاء اليمن وتزوج بها.. ولما دخل صنعاء كرهوا أن يخرج من بين أظهرهم فقال لهم رجل: قيدوه فزوجوه. فأقام عندهم حتى مات رحمه الله تعالى».

ومن لطيف ما أشير به إلى أن الزواج قيد ومسئوليات ثقيلة قول بعض الظرفاء:

إن ذئبًا أمسكوه ... وتماروا في عقابه
قال شيخ زوجوه ... ودعوه في عذابه

ولذلك آثر بعض العلماء الأفذاذ العزوبة على ما فيها من مشقة على الزواج:

(أ) **بشر بن الحارث [الحافي]** الإمام الزاهد العابد المحدث الفقيه الجبل الثقة (١٥٠) قال الإمام أحمد: «إنما قوي بشر لأنه كان وحده ولم يكن له عيال، ليس من كان مُعيلاً كمن كان وحده، لو كان إليَّ ما باليت ما أكلت، ولو ترك الناس التزوج من كان يدفع العدو؟ لبُكاء الصبي بين يدي أبيه متسخطًا يطلب منه خبزًا أفضل من كذا

وكذا فأين يلحقه المتعبد الأعزب».

(ب) **أبو جعفر محمد بن جرير الطبري** المفسر المحدث الأصولي الفقيه النظار المقرئ المؤرخ اللغوي، له كتاب التفسير، قال ابن خزيمة بعد أن وقف عليه: «نظرت فيه من أوله إلى آخره وما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير»، وحكى بعض تلاميذه «أنهم حصَّلوا أيام حياته منذ بلغ الحُلم إلى أن توفي وهو ابن ست وثمانين سنة ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته فصار على كل يوم أربع عشرة ورقة وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق».



فهرس الموضوعات

